مجلة الترجمة واللغات المجلد 19 العدد 2020/1، ص. 189-203
Revue de Traduction et Langues Journal of Translation and Languages
ر ت م د :1112-3974, ر ت م د إ 2600-6235

توجيه الفروق النحوية والصرفية بين رواية قالون وحفص في سورة يس: دراسة دلالية

Orientation of Grammatical and Morphological Differences between Qaloon and Hafs Narration in Surat Yassin: A Semantic Study

د. منصوري توفيق
Dr. Mansouri Toufik
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة – الجزائر
University of Ahmed Ben Bella Oran1-Algeria
Mansouri31dz2004@yahoo.fr
مخبر مخطوطات شمال إفريقيا وهران الجزائر
Translation of Historical Documents Laboratory
0000-0002-6443-2035

تاريخ الاستلام: 2020/03/19 تاريخ القبول: 07 /07/ 2020تاريخ النشر: 31/08/ 2020

ملخص: تناول البحث موضوعا هاما في علم القراءات القرآنية، وما نجم عنه من فروق نحوية وصرفية بين روايتي الإمام قالون عن نافع المدني وحفص عن عاصم الكوفي في سورة يس كأنموذج، وأوجه الاختلاف بين الروايتين الذي قد يطال أثره دلالة اللفظ ومعناه، أو الاقتصار على نواح صوتية أدائية لا أثر لها على معنى الكلمة، مع تحديد توجيه هذه الفروق وبيان مدى تنوع معاني الآيات القرآنية دلاليا.

الكلمات المفتاحية: توجيه، حفص، دلالة، صرف، قالون، نحو.

Abstract: *The research dealt with an Important topic in the science of Qur'anic readings and the resulting differences in terms of syntax and morphology between the two narrations of the Imam Qālun through Nafi' Al-madani and Hafs through 'asim Al-kufi in surat Yassin as a model with identifying the orientation of these differences and showing the extent of diversity.*
Key words: *orientation, Hafs, Semantics, Conjugation, Grammar, Qālun.*

المؤلف المرسل: منصوري توفيق

1. مقدمة

إنّ القرآن الكريم شرف للغة العربية، ومنجم لعلومها، ومما تميّز به عن سائر الكتب السماوية علم القراءات حيث غذا من أشرف الفنون وأفضلها. والقراءات القرآنية ومادتها بشتى صنوفها وطوائفها وفئاتها النحوية الإعرابية والصرفية خصوصا واللغوية عموما، تمثل ذخيرة ومادة لغوية ثرية وغزيرة، فهي ذات أبعاد دلالية وخصائص وأسرار وطاقات لغوية نادة ونادرة وغزيرة وبديعة عجيبة فريدة في بابها.

يعد علم توجيه القراءات القرآنية من الناحية النحوية والصرفية من أجل العلوم وأشرفها، لأنّ شرف كل علم بشرف ما ينسب إليه ويدور في فلكه. إنّ لعلم القراءات والتوجيه صلة وثيقة بعلم التفسير، فكل منهما يعد وسيلة لخدمة كتاب الله تعالى، والتوجيه النحوي والصرفي هو أحد هذه الوسائل التي استوقفت الكثير من المفسرين.

وعندما تختلف القراءات تختلف دلالاتها، فكل قراءة تعتبر وكأنّها آية أخرى بسبب المعنى الخاص الذي تؤديه وحدها، وغيرها لا يؤديه، ويعد ذلك سمة من سمات الإعجاز للقرآن الكريم، فهو يكثّف الكثير من المعاني بالقليل من الألفاظ والمباني.

ومما اختلفت فيه القراءات رواية قالون عن نافع ورواية حفص عن عاصم، وأوجه الاختلاف بين الروايتين منها ما يؤثر في دلالة اللفظ ومعناه، ومنها ما يقتصر تأثيره على نواح صوتية أدائية كالإمالة والتقليل وغيرها مما لا يمس معنى الكلمة.

والباحث يقصد إلى دراسة أوجه القراءات التي آثرت الدلالة، فيوضح كيف أثّر تعدد القراءات الدلالي. فماهي الفروق النحوية والصرفية بين الروايتين؟ ما تأثير اختلافها دلاليا؟ كيف وجه العلماء كل رواية؟

وقد عوّل الباحث في توجيهها على المضمون الدلالي، أي راعى البعد الدلالي لها مع الوقوف عند حدود القالب اللفظي، أو التوجيه المعتاد، أي توقف عند حد توجيه اللغويين والنحاة وتقعيدهم، وقد يتجاوز ذلك إلى استشفاف المضامين والمقاصد الدلالية واستشعارها. أمّا اختيار إجراء المقارنة النحوية والصرفية بين هاتين الروايتين، فمرده إلى عدة أسباب أجملها فيما يلي:

- رواية قالون وحفص من القراءات المتواترة الصحيحة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن مدرستين مختلفتين، فقالون من مدرسة الحجاز وحفص من مدرسة الكوفة.
- التقارب الكبير في الاختيار بينهما في الأحكام العامة، كأحكام الراءات والهمزات وغيرها.

- قراءة قالون تأتي في الترتيب الثالث شهرة بعد قراءة حفص التي عمت أصقاع العالم الإسلامي بعد قراءة ورش التي تأتي في الترتيب الثاني.
- إبراز الخلاف الذي يرجع إلى الإعراب والصرف مع مراعاة التحليل الدلالي.
- أمّا الدراسات السابقة فقد وقف الباحث بعد الاستقصاء على:
- مؤلف بعنوان : اختلاف القراءة بين قالون وحفص وتوجيهها لسعيد علي الشريف، حيث عمد مؤلفه إلى استقراء جميع الخلافات بين الراويتين في جميع القرآن وتوجيهها، فلم يتوسع في ذكر الحجج وعللها إلاّ بقدر التوضيح والحاجة الملحة لذلك[1]، مع قصور واضح في الجانب الدلالي لها.
- مقال موسوم بـ: سورة البقرة بين قراءتي حفص وقالون دراسة لغوية للدكتور علي حسن مزبان من قسم اللغة العربية، كلية المعلمين جامعة السابع من أبريل.

تناول صاحبه بعض النماذج الفرشية بين الروايتين، وبيّن الأوجه الإعرابية لتراكيبها، غير أنّه أغفل الجانب الدلالي لها. واخترت حدا لدراسة هذه الفروق سورة يس، واشتملت الخطة على مقدمة ومبحثين: أحدهما في اللفروق النحوية، وثانيهما في الفروق الصرفية، ثم خاتمة ضمنتها أهم النتائج المتوصل إليها.

1. الفروق النحوية

وهي الفروق القائمة على أساس اختلاف الحركة الإعرابية وما ينتج عنها من تعليل أو تغيير في المعنى، وقد تضمنت السورة ثلاثة فروق وهي:

1.1الفرق الأول: في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾ [يس : 05]؛ حيث قرأ قالون عن نافع (تنزيلُ) بالرفع، وقرأها حفص عن عاصم (تنزيلَ) بالنصب[2].

وجهت قراءة الرفع من وجهين:

1 سعيد علي الشريف، اختلاف القراءة بين قالون وحفص وتوجيهها، ص3.

2 ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ت: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة مصر، ط :03، ص539، الداني، التيسير في القراءات السبع، ت: أوتوبرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط :01، 1416هـ-1996م، ص149، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: 02، 1423هـ-2002م، ج2ص264، البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ت: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1422هـ-2001م، ص465.

الأوّل : أنّه خبر مبتدأ محذوف[1]، والمصدر (تنزيلُ) بمعنى المفعول، أي : هو تنزيل بمعنى : منزّل العزيز.[2]

قال الزجاج : " تقرأ (تنزيل) بالرفع والنصب، فمن نصب فعلى المصدر على معنى نزَّلَ الله ذلك تنزيلا، ومن رفع فعلى معنى : الذي أنزل إليك، تنزيل العزيز الرحيم "[3].

ورأى الفراء أنّه مرفوع على الاستئناف، فقال : " ويكون رفعه على الاستئناف، كقولك : ذلك تنزيل العزيز الرحيم، كما قال تعالى :﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾ [الأحقاف :35]، أي : ذلك بلاغ "[4].

وجوّز ابن أبي مريم أن يكون مبتدأ وخبره محذوف، والتقدير : تنزيلُ العزيز الرحيم هذا[5].

وهذا من مواقع حذف المسند إليه الذي سماه السكاكي الحذف الجاري على متابعة الاستعمال في أمثاله، وذلك أنّهم إذا أجروا حديثا على شيء ثمّ أخبروا عنه التزموا حذف ضميره الذي هو مسند إليه إشارة إلى التنويه به كأنّه لا يخفى.[6]

3 الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ت: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون، دمشق سوريا، ط :1، 1413هـ-1993م، ج6ص36، القيسي، مشكل إعراب القرآن، ت: ياسين محمد النواس، دار اليمامة، دمشق سوريا، ط :3، 1423هـ-2002م، ص556، ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن، ت: بركات يوسف هبود، دار الأرقم، ص434، ابن عجيبة، الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة، ت: عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط :1، 1434هـ-2013م، ص325.

4 العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ت: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت لبنان، 1421هـ-2001م، ج2ص338.

5 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ت: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث القاهرة مصر، 1424هـ-2004م، ج4ص209.

6 الفراء، معاني القرآن، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط:1، 1423هـ-2002م، ج3ص257.

7 ابن أبي مريم، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، ت: د. عمر حمدان الكبيسي، دار التوعية الإسلامية، القاهرة مصر، ط :1، 1414هـ-1993م، ج3ص1070.

8 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت لبنان، ط :1، 1420هـ-2000م، ج22ص196.

الثاني : أنّه خبر (يس) إن كان المراد بها السورة، قال الشهاب : " وقد تجوز فيه أن يكون خبر (يس) إن كان اسما للسورة أو مؤولا بها، والجملة القسمية معترضة، والقسم لتأكيد المقسم عليه والمقسم به اهتماما، فلا يقال إنّ الكفار ينكرون القرآن فكيف يقسم به لإلزامهم "[1]، وهو ما نقله عنه الألوسي في تفسيره[2].

وعلى قراءة الرفع فالمعنى: إنّ القرآن وإنّ ذلك القرآن لهو تنزيلُ العزيز الرحيم، وإنّ ما تنزّل عليك وما يُلقى إليك وما يُوحى إليك وما أُمليَ عليك لهوُ تنزيل العزيز الحميد.

وإنّ ما تتلوه وما تتلقاه، وما تكّرمنا به عليك وما نمليه وما أنزلناه لهو تنزيل العزيز الحميد[3].

وتحتمل قراءة النصب تخريجين هما:

الأوّل : أن يكون منصوبا على المصدر، وهو توجيه الفارسي[4] وابن أبي مريم[5] وغيرهما من الموجهين للقراءات [6].

فقد علّل ابن زنجلة المصدرية فقال : " فمن نصب فعلى المصدر على معنى : نزّل الله ذلك تنزيلا مثل قوله:﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨ ﴾ [النمل : 88]، وهو مصدر صدّر من غير لفظه لأنّه لمّا قال:﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤ ﴾ [يس : 3-4]، كأنّه قال : نزّل ذلك في كتابه تنزيلا، فأخرج المصدر على المعنى المفهوم من الكلام" [7].

9 شهاب الدين الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط :1، 1417هـ-1997م، ج8ص5.

10 الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط :1، 1420هـ-1999م، ج22ص527.

11 ينظر: عبد التواب الفيومي، التوجيه النحوي الدلالي للقراءات القرآنية، المكتبة الأزهرية، القاهرة مصر، ط :1، 1432هـ-2012م، ص271.

12 الفارسي، الحجة للقراء السبعة ج6ص36.

13 ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها ج3ص1069.

14 ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن ص243، ابن عجيبة، الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة ص325.

15 ابن زنجلة، حجة القراءات ص596.

الثاني: أن يكون منصوبا على المفعولية بفعل مقدّر: أعني، وهو اختيار الزمخشري[1]، وهو نصب على المدح[2].

والمعنى : أعني من قسمي قرآنا نزّلته، وتلك العناية زيادة في التنويه بشأنه وهي تعادل حذف المسند إليه الذي في قراءة الرفع[3]. وأيا ما كان ففيه إظهار لفخامة القرآن الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة، وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة الكاملة والرحمة الفاضلة حث على الإيمان به ترهيبا وترغيبا وإشعارا بأنّ تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما أشار إليه قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء : 107].[4]

وصواب القول عند الطبري: أنّهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، ومعنى الكلام : إنّك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له[5].

2.1الفرق الثاني: قوله تعالى ﴿ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢ ﴾ [يس : 32]؛ حيث قرأ قالون عن نافع لمَا بالتخفيف، وقرأها حفص عن عاصم بالتشديد[6].

تحتمل (إنْ) على قراءة التخفيف أن تكون:

- " مخففة من الثقيلة، ولمّا خُففت بطل عملها لنقصها عن مشابهة الفعل، فارتفع ما بعدها بالابتداء"[7]، " والأفصح إهمالها عن العمل فيما بعدها، والأكثر أن يقترن خبر الاسم بعدها بلام تسمّى اللام الفارقة لأنّها تفرق بين (إنْ) المخففة من الثقيلة، وبين

16 الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت: أبو عبد الله الداني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط :1، 1427هـ-2006م، ج4ص5.

17 السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: علي محمد عوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط :1، 1414هـ-1994م، ج5ص475، عبد القادر منصور، الشامل في القراءات العشر لغة وتفسيرا وأسرارا، دار القلم العربي، حلب سوريا، ط :2، 1430هـ-2009م، ص497.

18 ابن عاشور، التحرير والتنوير ج22ص196.

19 الألوسي، روح المعاني ج22ص527.

20 الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ت: محمود اكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط :1، 1421هـ-2001م، ج22ص176-177.

21 ينظر: الداني، التيسير في القراءات السبع، ص149، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2ص265.

22 ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن ص245.

(إنْ) النافية لئلا يلتبس الخبر المؤكد بالخبر المنفي فيناقض مقصد المتكلّم"[1]، وهو مذهب البصريين[2].

- نافية، واللام بمعنى (إلاّ)، و(ما) زائدة، وهو مذهب الكوفيين[3]، والمعنى : إنْ كلٌ لجميع لدينا محضرون[4].

واتفق جميع الموجهين[5] أنّ (لـمّا) بالتشديد بمعنى (إلاّ)، وأنّ (إنْ) بمعنى (ما)، وتقديره : وما كلٌ إلاّ جميعٌ. ونقل ابن النحاس عن الكسائي أنّه لا يعرف ذلك[6]، لكنّ سيبويه حكى ذلك فقال : " وسألت الخليل عن قولهم : أقسمت عليك إلاّ فعلتَ ولـمّا فعلتَ "[7]. وذكر الفخر الرازي مناسبة وقوع (لـمّا) موقع (إلاّ) فقال : " (لـمّا) كأنّها حرفا نفي وهما : (لَمْ) و (ما) فتأكّد النفي، ولهذا يقال في جواب من قال : قد فعل، لـمّا يفعل، وفي جواب من قال : فعل، لم يفعل، وإلاّ كأنّها حرفا نفي (إنْ) و (لا)" [8].

وهذا يجوز أن يكون أخذه من قول الفراء في (إلاّ) في الاستثناء أنّها مركبة (إنْ) و (لا)، إلاّ أنّ الفراء جعل (إنْ) مخففة من الثقيلة وجعلها نافية، وهو قول ركيك ردّه عليه النحويون[9]. وذهب الفراء[10] إلى أنّ أصل (لـمّا) (لِمَن) و (ما)، ثمّ حذفت إحدى الميمات لكثرتهنّ.

23 ينظر: النحاس، إعراب القرآن ج3ص266، ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها ج3ص1071.

24 نص عليه أبا حيان في البحر المحيط في التفسير ج9ص63، ونقله عنه الألوسي في روح المعاني ج23ص10.

25 المصدر نفسه ج9ص63.

26 الفراء، معاني القرآن ج2ص261، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ج4ص215.

27 ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها ج3ص1071، القيسي، مشكل إعراب القرآن ص559، ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن ص246، ابن زنجلة، حجة القراءات ص597، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ج4ص215، النحاس، إعراب القرآن ج3ص266.

28 إعراب القرآن ج3ص266.

29 سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ج3ص105.

30 الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ت: محي الدين الميس، دار الفكر، بيروت لبنان، 1415هـ-1995م، ج26ص65-66.

31 السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج5ص483.

32 معاني القرآن ج2ص260.

والمعنى : أنّ كل القرون محضرون لدينا مجتمعين، أي ليس إحضارهم في أوقات مختلفة ولا في أمكنة متعددة، فكلمة (كلٌّ) أفادت أنّ الإحضار محيط بهم بحيث لا يتفلت فريق منهم، وكلمة (جميعٌ) أفادت أنّهم محضرون مجتمعين، فليست إحدى الكلمتين بمغنية عن ذكر الأخرى[1].

فـ (جميعٌ) مرفوع على الخبرية في قراءة تخفيف (لـمّا)، وعلى الاستئناء على قراءة التشديد، و(مُحضرون) نعت لـ (جميعٌ) على القراءتين.

3.1الفرق الثالث: قوله تعالى :﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يس:39] ؛ حيث قرأ قالون عن نافع بالضم والقمرُ، وقرأها حفص عن عاصم بالفتح والقمرَ[2].

تخرّج قراءة الرفع على وجهين:

الأوّل : أن يكون (القمرُ) مبتدأ و (قدّرنَاه) هو الخبر، والهاء عائدة عليه وبها صلُح الكلام [3].

الثاني : أن يكون خبر لمبتدأ مقدّر هو (آيةٌ)، قال أبو علي الفارسي :" الرفع على قوله : وآيةٌ لهم في قوله تعالى:﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يس :38] مثل قوله :﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يس :37]، وكأنّ التقدير : وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، وآية لهم القمر قدرناه منازل، فهو على هذا أشبه بالجمل التي قبلها" [4].

ويصح أن يكون الرفع على العطف في قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يس : 38] عطف المفردات، وهو رأي الألوسي [5].

33 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج22ص223.

34 ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص540، الداني، التيسير في القراءات السبع، ص149، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2ص265، البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص467.

35 ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ت: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط :3، 1399هـ-1979م، ص297، المهدوي، شرح الهداية، ت: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج2ص486، الأزهري، معاني القراءات، ت: د. عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي، ط :1، 1414هـ-1993م، ج2ص307، د. عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين، ج7ص487.

36 الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج6ص39-40.

37 ينظر: روح المعاني ج23ص23، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج22ص232.

واختار الفراء الرفع فقال : " الرفع فيه أعجب إليّ من النصب، لأنّه قال : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ ﴾ ثمّ جعل الشمس والقمر متبعَين لليل، وهما في مذهبه آيات مثله "[1].

ومن نصب فحجته على إضمار فعل، تقديره : وقدّرنا القمرَ قدّرنَاهُ منازلَ[2]، ولابد في ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾ [يس :38] من تقدير مضاف لأنّه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل[3]، أي : قدرنا سيره، و﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ ﴾ ظرف، أي منازله، وقيل : قدرنا نوره في منازل، فيزيد مقدار النور كل يوم في المنازل الاجتماعية ويزيد في المنازل الاستقبالية[4].

قررت قراءة الرفع أنّ الوضع الذي في القمر مختلف عما هو عليه في الشمس، فكلا منها آية بدلالة حرف الواو، أمّا قراءة النصب فدلت على أنّ نور القمر يزيد كل يوم حتى إذا اكتمل شرع في النقصان. هذا ما أوحته قراءة النصب مما فيها من زيادة عناية بحالة القمر، والتي تخالف حالة الشمس، وهذا لا يتأتى في قراءة الرفع؛ مما يعطي قراءة النصب اهتماما وعناية[5].

2. الفروق الصرفية

وهي الفروق التي تقوم على أساس اختلاف المستوى الصرفي في الاسم والفعل والتخفيف والتشديد وغير ذلك من مسائل علم الصرف، وهي كالتالي:

38 معاني القرآن ج2ص262.

39 العكبري، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، ت: د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ج2ص216.

40 الزمخشري، الكشاف ج3ص15.

41 أبو حيان، البحر المحيط ج9ص67.

42 عبد الغني وهدان، التوجيه اللغوي للقراءات السبع عن أبي علي الفارسي، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط :1، 1430هـ-2009م، ص318.

1.2 الفرق الأوّل : قوله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ [يس : 41] ؛ حيث قرأ قالون عن نافع بالجمع ذرياتهم، وقرأها حفص عن عاصم بالإفراد ذريتهم.[1]

تخرّج قراءة الجمع أنّه لمّا كانت الذرية تقع للواحد، أتى بلفظ لا يقع للواحد، فجمع ليخلص الكلمة إلى معناها المقصود إليه لا يشركها فيه شيء وهو الجمع، لأنّ ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة متناسبة أعقابا بعد أعقاب لا يعلم عددهم إلاّ الله، فجمع لهذا المعنى[2].

وعلّله ابن أبي مريم بأنّ ذريات جمع ذريّة، والذرية لا تخلو من أن تكون واحدة أو جمعا، فإن كانت واحدة فلا خلاف في حسن جمعها جوازه، وإن كانت ذريّة جمعا، فمن الجموع المكسّرة ما جمع جمع سلامة نحو الطرقات وصواحبات يوسف[3].

والمعنى : آية لهم أنّا حملنا ذريات البشر في سفينة نوح، وذلك حين أمر الله نوحا بأن يحمل فيها أهله والذين آمنوا من قومه لبقاء ذريات البشر، فكان ذلك حملا لذرياتهم ما تسلسلت[4].

أمّا من أفرد ولم يجمع، فلأنّ الذرية قد تقع على الواحد والجمع، كقوله تعالى :﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آل عمران : 38]، فهذا للواحد لأنّه بُشر بيحي، والجمع كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ [النساء :8][5].

واستشكل القرطبي معنى الآية فقال : " هي من أشكل ما في السورة ؛ لأنّهم هم المحمولون، فقيل : المعنى (وآية) لأهل مكة أنّا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون، فالضميران مختلفان، وقيل الضميران جميعا لأهل مكة على أن يكون ذرياتهم أولادهم وضعفاءهم، فالفلك على القول الأوّل سفينة نوح، وعلى الثاني اسم للجنس[6].

43 ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص540، الداني، التيسير في القراءات السبع، ص149، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2ص265، البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص467.

44 العكبري، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها ج2ص483.

45 الموضح ج2ص564.

46 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج22ص237.

47 ابن زنجلة، حجة القراءات ص600.

48 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: د. محمد إبراهيم الحفناوي ود. محمود حامد عثمان، دار الحديث القاهرة مصر، ط :2، 1416ه-1996م، ج15ص37.

2.2الفرق الثاني: قوله تعالى :﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۚ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس : 68] ؛ حيث قرأ قالون عن نافع بفتح النون الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف مخففة نَنْكُسْه ويَعقلون بالياء، وقرأها حفص عن عاصم بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف وتشديدها نُنَكِّسْهُ وتَعقلون بالتاء[1].

رأى بعض من الموجهين بأنّ القراءتين لغتان بمعنى واحد، ومال إليه المهدوي[2]، والعكبري[3]، وابن زنجلة[4].

قال الأزهري :" يقال : نَكَسْتُهُ ونَكَّسْتُهُ وأَنْكَسْتُهُ بمعنى واحد ".[5]

لكن يوجد تفريق بينهما في المعنى الدلالي، فمن قرأ بالتشديد فمن الفعل (نكّس)، وهو على التكثير والترداد والتعدد، فنبّهت القراءة على " تعدد وتكثر الرد من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة وأخيرا إلى الهرم ".[6]

وذلك أنّا خلقناه على ضعف في جسده، وخلو من عقل وعلم، ثمّ جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي من درجة إلى درجة، إلى أن يبلغ أشدّه ويستكمل قوّته، ويعقل ويعلم ما له وما عليه، فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص، حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم، كما ينكّس السهم فيجعل أعلاه أسفله.[7]

أمّا من قرأ بالتخفيف فمن الفعل (أنْكَس) المخفف أو (نَكَسَ) الثلاثي، والمعنى: ومن نطِل عمره نردّه من قوة الشباب ونضارته إلى ضعف الهرم ونحولته، وهو أرذل العمر الذي تختل فيه قواه ويضعف إدراكه.[8]

49 ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص543، الداني، التيسير في القراءات السبع، ص150، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2ص266، البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص469.

50 شرح الهداية ج2ص487.

51 الكشف عن وجوه القراءات وعللها ج2ص220.

52 حجة القراءات ص603.

53 معاني القراءات ج2ص311.

54 الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة ص329.

55 الزمخشري، الكشاف، ج3ص21.

56 ينظر: عبد القادر منصور، الشامل في القراءات العشر، ص505.

واختار ابن أبي مريم[1] وابن عجيبة[2] قراءة التخفيف لأنّ نكست بالتخفيف أشهر في هذا المعنى من نكّست بالتشديد، وعن أبي الحسن أنّ المستعمل في هذا المعنى هو المخفّف دون المشدّد، فإنّ المشدّد لا يستعمل إلاّ لما يقلب فيجعل أعلاه أسفله.

وأنكر الأخفش التخفيف، ولم يعرف إلاّ التشديد، وقال : " لا يكادون يقولون نَكَسْتُهُ إلاّ لما يقلب، فيجعل رأسه أسفل".[3] واختار الطبري قراءة التشديد معللا اختياره بـ : أنّ التي عليها عامة قراء الكوفيين أعجب إليه، لأنّ التنكيس من الله في الخلق إنّما هو حال بعد حال، وشيء بعد شيء، فذلك تأييد للتشديد.[4]

3.2 الفرق الثالث : قوله تعالى : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يس : 70] ؛ حيث قرأ قالون عن نافع بالتاء لتُنذِرَ، وقرأها حفص عن عاصم لِيُنْذِرَ.[5]

أفادت القراءة بالتاء أنّ الخطاب مقصود به النبي صلى الله عليه وسلم، أي : لتنذر يا محمد[6]، لأنّه المنذر حقيقة، وهذا ليبعث فيه الهمة والنشاط، ويُطمئنه أنّ المذكّر هو الحي وأنّ ما عليه إلاّ الإنذار.

ويقوّي التاء قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الرعد : 08]•

أمّا القراءة بالياء فإنّ الضمير يعود إلى القرآن، أي: لينذر القرآن من كان حيا، وهذا أظهر لتقدم ذكر القرآن في قوله تعالى:﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس :68]•

وجوّز ابن عجيبة إمكانية عودة الضمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أي : " لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن لقوله تعالى : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس :68]".[7]

57 الموضح ج3ص1079.

58 الدرر النائرة ص329,

59 ينظر: مكي القيسي، الكشف ج2ص220.

60 الطبري، جامع البيان، ج23ص34.

61 ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص544، الداني، التيسير في القراءات السبع، ص150، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2ص266، البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص469.

62 الموضح ج3ص1080.

63 الدرر النائرة ص329.

والأقرب على هذه القراءة عوده إلى القرآن الكريم فلا يحتاج إلى تعليل، أمّا عودته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهي عودة إلى البعيد بالذكر، وما بين هذا وذاك استطراد وفاصل.

خـاتمة

- لا غنى لدارس اللغة العربية صرفها ونحوها عن علم القراءات، ولا يستغني دارس علم القراءات القرآنية عن التبحر والاطلاع الواسع على علمي النحو والصرف بوجه خاص.
- إنّ الفروق النحوية والصرفية التي خلفتها قراءة قالون وحفص في سورة يس شملت بعض أبواب النحو والصرف، وقد خلقت ولا ريب أكثر من معنى في الآية الكريمة، إذ قد يتغيّر المعنى في كلا القراءتين وقد يكون قليلا ويضيف معنى آخر بحسب نوع الفرق، إلاّ أنّه لا يوجد تناقض بأي شكل أو لون لقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء :82].
- يرجع معظم الخلاف بين الروايتين في سورة يس فيما يلي:
  - الاختلاف في الإعراب، فتغيّر العلامة الإعرابية لكلمة (تنزيل) من الضمة إلى الفتحة أدى إلى تغيّر الحالة الإعرابية من الرفع إلى النصب وتغيّر التوجيه النحوي مما أثّر في اللفظ، فقراءة النصب أخف وأثّر في المعنى حيث إنّ قراءة الرفع أقوى.
  - الاختلاف بين التشديد والتخفيف في (لمّا)، ونتج عنه تغاير في الإعراب فمذهب البصريين على أنّ (إن) مخففة من الثقيلة وبالتالي بطل عملها واقترن اسمها باللام الفارقة، ومذهب الكوفيين أن تكون نافية بمعنى (إلاّ) و(ما) زائدة، والمعنى على المذهبين واحد.
  - الاختلاف بوضع حركة مكان أخرى في كلمة (القمر)، وترتب عنه تغيير في الحالة الإعرابية من الرفع إلى النصب، وأدى إلى زيادة في المعنى إذ أوحت قراءة النصب إلى مزيد عناية بحال القمر التي تخالف الشمس، بينما قراءة الرفع أفادت أنّ كلا من القمر والشمس آية.
  - الاختلاف بين الإفراد والجمع في كلمة (ذرية)، فمن جمع أراد ذريات جنسهم أو نوعهم، ومن أفرد فقد تقع الذرية على الواحد والجمع.
  - الاختلاف بين التخفيف والتشديد في كلمة (ننكسه)، فقد جمعت القراءتين بين صيغتين صرفيتين (فعل أو أفعل) و(فعّل) وساهم ذلك في إثراء المعنى التفسيري، وهو أنّ قراءة التشديد تدل على التكثير والتعدد ولا تدل عليه قراءة التخفيف.

قائمة المصادر والمراجع

[1] القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

[2] ابن مجاهد. أحمد بن موسى. كتاب السبعة في القراءات. ت: د. شوقي ضيف. دار المعارف. القاهرة مصر. ط :03.

[3] ابن أبي مريم. نصر بن علي. (1414هـ-1993م). الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها. ت: د. عمر حمدان الكبيسي. دار التوعية الإسلامية. القاهرة مصر. ط :1.

[4] الأزهري. محمد بن أحمد. (1414هـ-1993م). معاني القراءات. ت: د. عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي. ط :1.

[5] الألوسي. محمود بن عبد الله. (1420هـ-1999م). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ت: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي. دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان. ط :1.

[6] ابن الأنباري. عبد الرحمن بن محمد. البيان في إعراب غريب القرآن. ت: بركات يوسف هبود. دار الأرقم.

[7] البنا الدمياطي. أحمد بن محمد. (1422هـ-2001م). إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. ت: أنس مهرة. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.

[8] ابن الجزري. محمد بن محمد. (1423هـ-2002م). النشر في القراءات العشر. ت: زكريا عميرات. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط: 02.

[9] ابن خالويه. الحسين بن أحمد. (1399هـ-1979م). الحجة في القراءات السبع. ت: د. عبد العال سالم مكرم. دار الشروق. ط :3.

[10] الداني. عثمان بن سعيد. (1416هـ-1996م) التيسير في القراءات السبع. ت: أوتوبرتزل. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط :01.

[11] الرازي. محمد بن عمر. (1415هـ-1995م). التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. ت: محي الدين الميس. دار الفكر. بيروت لبنان.

[12] الزجاج. إبراهيم بن محمد. (1424هـ-2004م). معاني القرآن وإعرابه. ت: د. عبد الجليل عبده شلبي. دار الحديث القاهرة مصر.

[13] الزمخشري. محمود بن عمر. (1427هـ-2006). الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ت: أبو عبد الله الداني. دار الكتاب العربي. بيروت لبنان. ط :1.

[14] سعيد علي الشريف. اختلاف القراءة بين قالون وحفص وتوجيهها.

[15] السمين الحلبي. أحمد بن يوسف. (1414هـ-1994م). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. ت: علي محمد عوض وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط :1.

[16] سيبويه. عمرو بن عثمان. الكتاب. ت: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة مصر.

[17] شهاب الدين الخفاجي. أحمد بن محمد. (1417هـ-1997م). حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي. ت: عبد الرزاق المهدي. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط :1.

[18] الطاهر بن عاشور. محمد الطاهر بن محمد. (1420هـ-2000م). التحرير والتنوير. مؤسسة التاريخ. بيروت لبنان. ط :1.

[19] الطبري. محمد بن جرير. (1421هـ-2001م). جامع البيان عن تأويل القرآن. ت: محمود اكر. دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان. ط :1.

[20] عبد التواب الفيومي. (1432هـ-2012م). التوجيه النحوي الدلالي للقراءات القرآنية. المكتبة الأزهرية. القاهرة مصر. ط :1.

[21] عبد الغني وهدان. (1430هـ-2009م). التوجيه اللغوي للقراءات السبع عن أبي علي الفارسي. مكتبة الآداب. القاهرة مصر. ط :1.

[22] عبد القادر منصور. (1430هـ-2009م). الشامل في القراءات العشر لغة وتفسيرا وأسرارا. دار القلم العربي. حلب سوريا. ط :2.

[23] عبد اللطيف الخطيب. معجم القراءات. دار سعد الدين.

[24] ابن عجيبة. أحمد بن محمد. (1434هـ-2013م). الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة. ت: عبد السلام العمراني. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط :1.

[25] العكبري. عبد الله بن الحسبن. (1421هـ-2001م). التبيان في إعراب القرآن. ت: مكتب البحوث والدراسات. دار الفكر. بيروت لبنان.

[26] العكبري. عبد الله بن الحسين. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها. ت: د. محي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة. بيروت لبنان.

[27] الفارسي. الحسن بن أحمد. (1413هـ-1993م). الحجة للقراء السبعة. ت: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي. دار المأمون. دمشق سوريا. ط :1.

[28] الفراء. يحي بن زياد. (1423هـ-2002م). معاني القرآن. ت: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط :1.

[29] القرطبي. (1416هـ-1996م). الجامع لأحكام القرآن. ت: د. محمد إبراهيم الحفناوي ود. محمود حامد عثمان. دار الحديث القاهرة مصر. ط :2.

[30] القيسي. مكي بن أبي طالب. (1423هـ-2002م). مشكل لإعراب القرآن. ت: ياسين محمد النواس. دار اليمامة. دمشق سوريا. ط :3.

[31] المهدوي. أحمد بن عمار. شرح الهداية. ت: د. حازم سعيد حيدر. مكتبة الرشد. الرياض. المملكة العربية السعودية.